

فأشار عمر بن الخطاب على أبي بكر بجمع القرآن في مصحف خشية أن يذهب بذهاب الحفظة ، فتردد أبو بكر أول الأمر لأنه فعل لم يكن على عهد رسول الله، ثم ارتاح لرأي عمر لما فيه من المصلحة ، فدعا زيد بن ثابت لأنه كان أئزم الصحابة لمجلس رسول الله ومن أحفظهم للقرآن ، وكلفه بكتابة القرآن في مصحف واحد ، فجمع زيد جميع الصحف ، ثم أبقى أبو بكر تلك الصحف عنده إلى أن توفاه الله، ثم كانت عند عمر بن الخطاب ، ثم جعلها عمر عند بنته حفصة زوجة رسول الله ، فاستحضر الصحف التي كانت عند حفصة ، وجمع ثلاثة من الرجال الذين اشتهروا بالحفظ والضبط وجمع القرآن ، وهم المعروفون بالنفر القرشيين ، وعهد إليهم بكتابة المصحف على ما استقر عليه الأمر في العرضة الأخيرة التي عرض بها رسول الله القرآن على جبريل في عامه الأخير على العادة التي جرت من مدارس القرآن بين جبريل والنبي في رمضان. فكتب هؤلاء نفر القرشيين أربع نسخ ، وبعث بها أمير المؤمنين عثمان ابن عفان إلى الآفاق : الكوفة والبصرة والشام ، وترك واحداً عنده وقيل : بعث خامساً إلى اليمن وسادساً إلى البحرين وسابعاً إلى مكة . ثم أمر بإحراق ما عدا تلك الصحف الآتفة الذكر ، فكان كل مصحف من هذه المصاحف هو الامام في رجوع الناس إليه وتحويلهم في انتساخ مصاحفهم وسائل الحفظ والرعاية والتقديس . فقد كانت تنزل الآية أو الآيات منه فيحفظها النبي عن ظهر قلب ، . ثم لم يكن القرآن كغيره من الكتب المقدسة التي سبقته محتكراً في يد طائفة من الطوائف حتى يتسرب إلى الذهن ظن في احتمال طرء التحريف إليه قصداً أو عفواً بل كان عاماً شائعاً بين أيدي المسلمين ، فكيف يتصور ان يقع فيه تحريف ولا يدري به وكان هؤلاء يتلونهم في بيوتهم ، ولما جمعه عثمان أخيراً كان أكثر كتابه وحفاظه لا يزالون على قيد الحياة ، فكيف يعقل ان يتطرق اليه التحريف مع هذا ؟ وصدق الله أنزل القرآن مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة تقريباً ، وذلك بحسب الحاجة التي تكون سبباً في النزول ليكون ذلك آنس للعرب وأدعى للقبول ، وأبلغ في الحجة عليهم وأظهر لوجه إعجازه . ، لأن القرآن تحداًهم بأن يأتوا بسورة مثل سوره كما سيأتي ، ولكن الآية أو الآيات كانت تنزل في وقت، وكان يفصل بين وقت وآخر زمن يكفي لأن تنهيا نفوس المعارضته ، ، ولكنهم كانوا يعجزون رغم الفرصة الكافية التي كانت تسنح لهم ، وهذا من أعظم الدلائل على وجه إعجاز القرآن ، وخاصة إذا اعتبرت ان أكثر ما نزل في إبتداء الوحي إلى أن هاجر النبي من مكة إنما هو من قصار السور ، كما ان في نزول القرآن مفرقاً حكمة أخرى هي : إستدراج العرب وتصريف أنفسهم بأوامره ونواهييه على حسب النوازل والحوادث – فمن الحكمة ان يكون الدواء عند حدوث الداء – ليكون تحولهم عن أخلاقهم وعاداتهم بسهولة ويسر . فلو نزل عليهم القرآن دفعة واحدة لثقلت عليهم التكاليف ولنفرت قلوبهم عن قبول ما فيه من الأوامر والنواهي . ، قال تعالى : وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً (الفرقان : فقد كان الرسول امياً لا يقرأ ولا يكتب ، أما غيره من الرسل فقد كانوا كاتبين قارئين يمكنهم أن يضبطوا ما ينزل عليهم من الكتب جملة . التحدي الذي أبداه القرآن في أن يأتي العرب أو غيرهم بمثله أو بسورة منه و عجزهم في ذلك لهو من أعظم الدلائل على أنه وحي إلهي ، ، وكان هناك شعراء فحول يحكمون بينهم. وكانت أسمى ميزاتهم الأمرين : أولاً – ان حياة الصحراء تدعو إلى التأمل واثارة العواطف وإنماء الخيال ، وأصابها الوهن في ذلك وضربها الخذلان باليأس فقلما تنفعها نافعة بعد ذلك أو تجزئها قوة أخرى فمن ثم لم تقم للعرب قائمة بعد أن أعجزهم القرآن من جهة الفصاحة التي هي أكبر أمرهم ومن جهة الكلام الذي هو سيد عملهم) بهر الشعراء منهم فخرست ألسنتهم ، . وذهبت كل بلاغة في تياره . ، فأخذوا يحاربون الحق بالأوهام ، ، وهو سحر ، ولما كان من عادة العرب ان يتحدى بعضهم بعضاً في المساجلة بالكلام ، وحكمة هذا التحدي وذكره في القرآن انما هي أن يشهد التاريخ في كل كل عصر بعجز العرب عنه وهم الخطباء الله والفصحاء اللسن حتى لا يجيء بعد ذلك فيما يجيء من الزمن مولد أو أعجمي كاذب أو منافق أو ذو غفلة فيزعج أن العرب كانوا قادرين على مثله وانه غير معجز . طلب القرآن منهم في هذه الآية إنشاء كتاب مثل القرآن ولذا نرى القرآن يخاطبهم بما ورد في سورة الاسراء من أنهم لن يستطيعوا ، بل ولن يستطيع الانس والجن مجتمعين أن يأتوا بمثله ، ولكن طالب بعشر سور كما جاء في سورة هود ذلك بجميع البلغاء، ولكن هؤلاء المرتابين عجزوا ، والجدير بالذكر ان الله جعل عجزهم عن الإتيان بمثله عشر سور من القرآن دليلاً على أنه من عنده ، . ثم مضى القرآن خطوة ثالثة، كما جاء في سورة البقرة ، وهذا نهاية التحدي ومن الصعب بل ومن المتعذر أن يصدر عن عاقل التزام كالذي التزمه وشرط كالذي شرطه على نفسه ، لغلبة الظن عند من له شيء من العقل أن الأرض لا تخلو من صاحب قوة مثل قوته ، والعليم الخبير هو الناطق على لسانه « أي محمد » ، وقد أحاط علمه بقصور جميع القوى عن تناول ما استنهضهم له وبلوغ ما حثهم عليه . اقتضت حكمة الله أن تكون معجزة محمد من جنس ما اشتهر العرب بالنبوغ فيه لأن كل رسول تكون معجزته من جنس ما نبغت فيه أمته . أتى الله رسوله موسى آيات كان العلماء والسحرة أعلم الناس بها بأنها من عند الله لا من كسب موسى ، فكانت معجزة موسى عصا انقلبت حية تسعى فلقفت كل

حبال السحرة . والحق يقال : ان معجزات الرسل السابقين الدالة على صدق نبوتهم هي وقائع تنقضي ، والآن بعد أن ترقى العقل وكثرت المعارف ودخلت الشبهات على الأديان ضعف تأثير هذه المعجزات على اتباع الأديان ، انتفاء المراءة عن سلوك النبي ﷺ وهو أنه كان متظاهراً أما الفرض الرابع – . وشفت هما وراءها من التمويه، لأن نفس المرائي عادة لا تكون إلا نفساً منحطة يستطيرها بارق الأمل وتغريها أمارات النجاح فتتفضح. وقد ثبت أن محمداً عاش فقيراً ومات فقيراً لم يصب من الدنيا شيئاً مع أنها كانت طوع يديه، فلم يفترش الديباج ولم يكتس الحرير، . وكان الرسول يكره أن يمدحه أحد في وجهه، ونهاهم عن إطرائه . ولم يستبد بأمر، ويغلظ له في القول، فيهم أصحابه بزجره فيمنعهم . إنما أنا ابن امرأة من هاب فريش كانت تأكل القديد وقد كتب المؤرخ الأميركي (واشنطن) (أرفنج) في شخصية محمد فقال: هل كان ثرياً ؟ لا، بل كان فقيراً، كان له شأن في وطنه، هل كان قوي النفوذ؟ نعم، ، ولذا كان مركزه وما اتصف به من أخلاق كريمة يؤهلانه ليكون موضع الثقة. وجرّ على نفسه عداها، فقد كان تحطيم الأوثان يقضي على سيطرة قريش على الكعبة وما تستفيد من قدوم الحجاج. لقي الرسول من أجل نشر الإسلام كثيراً من العناء، فقد شك الكثير في صدق دعوته، . وحينما هاجر من مكة كان قد مضى ثلاثة عشر عاماً. فتحول من تاجر ثري إلى مهاجر معدم، وحينما وصل الرسول إلى المدينة المنورة لم يكن يفكر في القوة العظيمة التي كانت تنتظره، فقد كان تفكيره منصرفاً إلى بناء مسجد يستطيع أن يصلي فيه وينشر منه دعوته، وقد كان كل أمله أن ينشر الإسلام في جو من الهدوء والسلام استحالة ادعائه النبوة كذباً ، فاسد الفطرة، ومن كان كذلك كانت حياته كلها سلسلة جرائم وشبكة مآثم بعيدة عن الخير في كافة وجوها، تأييد الله النبي ﷺ أما الفرض السادس – بأن الله أيده ونصره مع اتصافه بهذه الصفات، فهو أضعف من كل الوجوه التي مرت وما أصدق ما قاله الكاتب الإنجليزي (توماس كارليس) في كتابه (الأبطال)، لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدن من أبناء هذا العصر أن يصغي إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب وأن محمداً خدأ مزور، وأن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، خلقهم الله الذي خلقنا، ويصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول، ، ويقول بعد ذلك: وهل رأيت قط معشر الإخوان أن رجلاً كاذباً يستطيع أن يوجد ديناً وينشره؟ عجباً والله، إن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبني بيتاً من الطوب! فهو إذا لم يكن عليمًا بخصائص الجبر والجص والتراب وما شاكل ذلك، وليس جديراً أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرناً يسكنه مائتا مليون من الأنفس، رسالة محمد مصدرها الوحي الإلهي أما الفرض الأول - وهو أنه اقتبس دينه من أحد الرهبان أو الأخبار - فهو فرضٌ ينقضه الواقع التاريخي من كافة الوجوه. وأنه كان نسطورياً من أتباع آريوس في توحيد الله. وللدرد على هذا الادعاء الباطل نقول: إن كتب التاريخ والسيرة قررت أن محمداً لما خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام كان عمره تسع سنين، وقيل: اثنتي عشرة سنة، ، وكان له من العمر ٢٥ سنة إلا أنه لم ينفرد دون ميسرة وسائر تجار قريش لدراسة أو غيرها، هذا ما ورد في الأخبار التاريخية عن صلة محمد بالراهب بحيرا التي لا نستشف من ورائها أي صلة فكرية تجمع بينهما. ولكن لندع هذا جانباً، السيرة النبوية والأحاديث الشريفة. ثانياً: لو ثبت ما يدعونه لا تحذه أعداؤه من المشركين شبهة يحتجون بها على أن ما يدعيه من الوحي قد تعلمه في الشام من النصراني واليهود. فالشبهة الوحيدة في هذا الباب التي أخذها عليه أعداؤه من قومه هي أنه كان يجتمع بجبر الرومي وكان يقرأ التوراة والكتب بلسانه. جبر هو حداد رومي، وكان نصرانياً أعجمي اللسان وهو صاحب كتب، فقد اشتمل على أحكام وتشريعات لا يمكن أن تكون مستمدة من الراهب بحيرا وغيره، بل نرى القرآن يخالف العهدين القديم والجديد في ما يذكران من الحوادث التاريخية والدينية. رابعاً: القرآن نزلت آياته على حسب الحوادث والوقائع، وكانت مدة نزوله ثلاثة وعشرين عاماً، فلم يأت محمد بالقرآن جملة واحدة كالكتب المتعارف عليها، ينكب الأديب عليها فترة من الزمن ثم يقدمها للقراء بعد التنقيح وإمعان الفكر، وهذا مما ينفي أن يكون القرآن مستمداً من أحد، بل هو وحي إلهي أوحاه الله لمحمد . والتعلم لا يتم في السر وفي جلسة واحدة وجلسات بل لا يتم إلا إذا اختلف المتعلم إلى المعلم أزمناً متطاولة، ولو كان الأمر كذلك لاشتهر بين العرب أن محمداً يتعلم العلوم، من فلان،